ملف خاص

عام من التضحيات ومواكب الشهداء

ما وراء حسابات الربح والخسارة فى طوفان الأقصى 6-7

جر مصر للصراع كابوس لا يتمناه أشد الصهاينة تطرفاً 05

خطيئة سوريا «كشفت» حزب اللّه وأوقعته فى شباك «العدو»

فى عام ٢٠١٤ جمعنى لقاء مع احد قيادات حزب الله ، على هامش مؤتمر سياسى كانت تستضيفه العاصمة السودانية الخرطوم ، وكنت أحضره بصفتى الصحفية .فى ذلك الوقت كان حزب الله فى ذروه تورطه او تدخله فى مستنقع الدم السوري، حين أرسل الالاف من عناصره للقتال إلى جانب النظام السورى ضد الانتفاضة الشعبية التى بدأت سلمية وسرعان ما تحولت إلى حرب أهلية دامية والتى كادت أن تطيح بنظام الأسد لولا الدعم والاسناد الإيرانى ،وكان حزب الله جزءا من ذلك الإسناد .

خلال تلك الفترة انتشرت على نطاق واسع صور ومشاهد منسوبة لمسلحى الحزب وهم يستجوبون ويعذبون المعارضين السوريين بصورة بشعة، بينما يرفعون ويرددون شعارات طائفية طافحة .كما نسب لهولاء المقاتلين الكثير من الجرائم والممارسات والانتهاكات اللا أخلاقية بحق السوريين والنساء السوريات .

سألت هذا القيادى البارز والذى كان مسؤول العلاقات العربية فى حزب الله آنذاك ،عما إن كانت قيادة الحزب تدرك حجم الثمن الفادح الذى دفعه الحزب من صورته وسمعته فى االشارع العربى نتيجة تورطه فى سوريا و الجرائم التى اقترفها مقاتلوه هناك؟ وكيف تحول من قوة مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلى تحظى بشبه اجماع فى الشارع العربى ، وكيف كان الناس يحتفلون به وبصموده فى وجه العدوان عام ٢٠٠٦، إلى جماعة طائفية والغة فى الدم السورى ؟

وقد فاجأنى الرجل بصراحته حين أخبرنى أن الحزب يدرك جيدا فداحة هذا الثمن، كما يدرك حجم الضرر الذى لحق به بصورته فى الشارع العربى جراء تدخله فى سوريا ..لكنه استدرك قائلا إن هذا التدخل كان مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا ...» أرجو أن تفهموا جيدا أننا ما تدخلنا دفاعا عن نظام بشار الأسد بقدر ما كنا ندافع عن وجودنا نفسه، ولإبعاد السكين عن رقبتنا بمنع سقوط النظام فى سوريا».

أضاف متسائلا: «هل تعلم ما معنى أن تسقط سوريا فى يد الجماعات المتشددة والجهادية والتكفيرية، وما معنى أن يسقط نظام الرئيس بشار ..معناه اننا سنكون الضحية القادمة».

خلال النقاش قدم الرجل الكثير من الحجج والمبررات التى اعتبرها برأيه كافية لارسال مقاتلى الحزب إلى سوريا، وقد انتهى النقاش بيننا وأنا مازلت متمسكا بموقفى بأن حجم الخسارة التى لحقت بالحزب وصورته كحركة مقاومة وطنية لبنانية كانت أفدح بكثير من أى مكسب يتصور او يظن أنه حققه نتيجة هذا التدخل الذى جعله يبدو مجرد بيدق من بيادق إيران والحرس الثورى الإيراني. تقبل الرجل وجهة نظرى برحابة صدر ودعانى لزيارة بيروت لاستكمال النقاش يوما ما وهى الزيارة التى لم تتم .

اليوم وبعد مرور عشر سنوات على هذا النقاش، يتضح ويتكشف أن حجم خسارة حزب الله نتيجة تورطه فى سوريا كان أفدح من مجرد تضرر صورة وسمعة الحزب..بل إن المحنة الوجودية التى يعيشها الحزب وأنصاره فى هذه اللحظة عقب الضربات المزلزلة التى تلقاها من إسرائيل والتى بلغت ذروتها باغتيال الأمين العام للحزب حسن نصر الله ومعظم قيادات الصف الأول به، وهذه الاختراقات الإسرائيلية المدهشة لصفوفه وكوادره، كانت فى أحد جوانبها إحدى ثمار الحصاد المر للتدخل فى سوريا . إذ شكل هذا التدخل كما تشير بعض التقارير الاستخبارية فرصة ذهبية ثمينة لإسرائيل لدراسة وتتبع عناصر وقيادات الحزب وجمع معلومات شاملة عنهم. بل ومراقبة وتقييم ادائهم ومدى كفاءتهم القتالية خلال وجودهم فى سوريا .

صحيفة الفايننشال تايمز البريطانية وفى تقرير لافت لها بعنوان «حسن نصر الله وبشار الأسد: الحرب السورية التى غيرت حزب الله « كشفت عن أن تدخل الحزب فى سوريا منذ عام ٢٠١٢ لدعم نظام الأسد فى قمع الانتفاضة المسلحة ضده ونشر الالاف من مسلحى الحزب على الأراضى السورية كان مثل «كعب أخيل» بالنسبة لإسرائيل لاختراق ومراقبة الحزب وعناصره. إذ شكل ذلك فرصة ذهبية لإسرائيل الفرصة لقياس وتقييم قوة الحزب عسكريا وكفاءة مسلحيه، كما أنه مكن الاستخبارات الإسرائيلية من جمع كم هائل من المعلومات عن قادة عمليات حزب الله وأخلاقياتهم ومدى التزامهم الحزبي،

وحسب تقرير الصحيفة فان هذا الانتشار لمقاتلى الحزب فى سوريا وسعى الحزب لتجنيد المزيد من المقاتلين جعلهم عرضة لاختراق وربما التجنيد من قبل أجهزة المخابرات الإسرائيلية والغربية .

وتضيف الصحيفة فى تقريرها أن تورط حزب الله فى الحرب فى سوريا أتاح الكثير من البيانات لعملاء إسرائيل – ولخوارزمياتها – ومن بين هذه البيانات كانت إعلانات القتلى فى صفوف مسلحى الحزب، والتى كانت تحتوى على معلومات مثل البلدة التى ينتمى إليها المقاتل، والمكان الذى قُتل فيه، وأصدقاؤه الذين ينشرون الأخبار على وسائل التواصل الاجتماعي. كما كانت جنازات هولاء القتلى فرصة أخرى لعملاء إسرائيل لجمع المزيد من المعلومات. فقد كانت هذه الجنائز فرصة لمراقبة بعض القادة الكبار الذين يخرجون من الظل، ولو لفترة وجيزة لتشييع بعض الضحايا .

وتنقل الفايننشال تايمز عن سياسى لبنانى سابق رفيع المستوى قوله إن اختراق حزب الله من قبل المخابرات الإسرائيلية أو الأمريكية كان «ثمن دعمهم للأسد....كان عليهم أن يكشفوا عن أنفسهم فى سوريا»، حيث اضطر التنظيم السرى فجأة إلى البقاء على اتصال ومشاركة المعلومات مع أجهزة المخابرات السورية الفاسدة أو مع أجهزة المخابرات الروسية التى كانت تخضع للمراقبة الدائمة من جانب الامريكان».

كل ذلك وغيره مع ما تملكه إسرائيل من إمكانيات تقنية متقدمة ووسائل تجسس ومراقبة فائقة الدقة، سمح لها بجمع كميات هائلة من المعلومات والبيانات والصور التى تولت وحدة متخصصة بالمخابرات الإسرائيلية تعرف باسم «وحدة ٩٩٠٠»، مهمة فرزها وتحليلها وترجمتها إلى معلومات محددة عن كل أنشطة وعناصر الحزب وهوياتهم وأماكن وجودهم .. وحسب التقرير فإنه بمجرد تحديد هوية أحد عناصر حزب الله، يتم رصد تحركاته اليومية وإدخالها فى قاعدة بيانات ضخمة، حيث يتم جمع المعلومات من أجهزته الإلكترونية أو الأجهزة الخاصة بعائلته.. وهكذا نجحت إسرائيل ومخابراتها فى اختراق صفوف حزب الله وصولا إلى قادته الكبار.. ونتيجة ذلك كان هذا الزلزال الذى ضرب الحزب وقيادته بشكل لم يحدث منذ تأسس الحزب قبل أكثر من أربعين سنة.

ومع ذلك يظل السؤال.. هل كان التورط فى سوريا وحده المسؤول عن هذا الانكشاف الأمنى المدهش لحزب الله فى مواجهة إسرائيل ، أم أن ثمة عوامل عديدة أخرى ساهمت فى ذلك، وعلى رأسها التفوق التكنولوجى والدعم والاسناد اللوجستى غير المحدود لاسرائيل من جانب الحلفاء الغربيين؟ .. وأيا تكن الإجابة فإن تدخله فى سوريا ،كان نقطة تحول تاريخية لم يعد الحزب بعدها كما كان قبلها ولن يعود !

بقلم: شحاتة محمود

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
مجدى شندى

الموقع الإلكترونى
www.elmashhad.online

العدد 336 -السنة الثالثة عشرة-
الاثنين 7 أكتوبر 2024 م
الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ
12 صفحة - الثمن : 5 جنيهات

المشهد
لا سقف للحرية

يحيى قلاش:

الإعلام مكبل فى الطوفان 03

چورچ شيحان:

الوجود المارونى فى مصر 04

محمود قاسم:

بيع أصول السينما عار 10

«ألسنا بشراً مثلكم؟»

منحنى العيش فى غزة منظوراً عميقاً وصعباً فى كثير من الأحيان للحياة. أنا لا أشعر بالخوف عادة، لكن الأشياء التى نراها ونسمعها مخيفة للغاية. حتى فى الليل، علينا أن نبحث عن ركن آمن للنوم فيه، تحسباً لانهيار المنزل فوق رؤوسنا.

فى غزة، جميع المواقع غير آمنة. لا يوجد مكان بعيد عن القصف، والموت ليس بعيداً أبداً.

عشت فى غزة طيلة حياتي، ولكن اضطررت إلى مغادرة منزلى فى أكتوبر ٢٠٢٣. وفى الوقت الحالي، أعيش فى شرق غزة مع عائلتي. نحن سبعة أشخاص فى غرفة واحدة، وهناك عائلة أخرى مكونة من سبعة أشخاص فى غرفة أخرى. ننام بالقرب من بعضنا البعض.

ليس لدينا أى مياه فى المنزل بأكمله ومخزون المواد الغذائية على وشك النفاد. كان الدقيق باهظ الثمن ونادراً، لذلك اضطررنا فى بعض الأحيان إلى استخدام علف الحيوانات للخبز. أشعر بالحزن على أخواتي لأنهن لا يحصلن على التغذية التى يحتجنها. إنهن أطفال وأجسادهن تنمو، لذلك غالباً ما يشعرن بالتعب.

بالنسبة للشباب مثلنا، فإن العيش فى منطقة الصراع له تأثير يمكن أن يستمر طوال حياتنا. كل شيء هنا فى حالة من الفوضى، كل الأشياء التى نراها ونسمعها، وحتى المكان الذى نعيش فيه . إنه يقيد وصولنا إلى التعليم والعمل والبيئة الآمنة.

ويعانى العديد من الأطفال من الصدمة نتيجة مشاهدة العنف وفقدان أحبائهم، ويمكن أن يكون لذلك آثار نفسية طويلة المدى. علاوة على ذلك، فإن الانهيار الاقتصادى ونقص البنية التحتية يجعل من الصعب على الشباب تصور مستقبل مستقر، أو التخطيط لحياة طبيعية. إننا نواجه العديد من العوائق أمام أحلامنا وتطلعاتنا، مما يجعل حتى الرغبات البسيطة مثل السفر صعبة. هناك نقاط تفتيش، وفحوصات أمنية مذلة، ورحلات طويلة لتقديم طلبات الحصول على تأشيرات، والتى يتم رفضها فى الغالب.

وهذا يجعلنى أرغب فى طرح سؤال واحد على الناس فى الغرب وإسرائيل: «ألسنا بشراً مثلكم؟» والجواب؟.. حسنا، ليس هناك إجابة.

الحياة هنا أصبحت غير طبيعية لأنه لم يعد هناك شيء عادي، وللتغلب على هذه الحقائق القاسية، يتبنى الشباب استراتيجيات مختلفة للبقاء. نحن نعيش يوماً بيوم، ونجد العزاء فى الأفراح الصغيرة والعواطف الشخصية. خلق عوالم شخصية والمشاركة فى الأنشطة التى نحبها يوفر ملاذاً مؤقتاً وإحساساً بالحياة الطبيعية. التمسك بالآمال والأحلام هو عامل حاسم للبقاء. وعلى الرغم من الظروف القاتمة، فإن هذه الأحلام تعطينا سبباً للصمود والمضى قدماً، حتى عندما يبدو المستقبل غامضاً. هناك الكثير من الأشياء التى ما زلت أريد القيام بها. أريد أن أصبح مصورة. أنا أكتب أيضا. أنا متأكدة من أنه فى يوم من الأيام سيكون هناك كتاب من تأليفى يقرأه العالم كله.

إذا بقيت على قيد الحياة، سأخرج وأرى العالم. سأرى كل الأشياء التى قرأت عنها. أنا شخصية فضولية للغاية، وأريد أن أعرف كل شيء عن العالم خارج بلدي. أريد أن أعيش بشكل طبيعي.

أحاول النظر إلى الأمور بتفاؤل. إذا انتهت الحرب، فيمكننى أن أخرج إلى الشارع وأشعر بالأمان مرة أخرى، على الرغم من أننى لا أعرف مدى احتمال ذلك، أو ما إذا كنت سأظل على قيد الحياة بعد الحرب. لكن من الأشياء التى يمكن أن تساعدنى هو عدم الشعور بأن قضيتنا مهمشة والجميع يتجاهلها.

من الضرورى أن يدعو العالم إلى إيجاد حلول سياسية ومفاوضات سلام لمعالجة الأسباب الجذرية للصراع. ومن المهم أيضاً لبقائنا المباشر أن نتلقى المساعدات الإنسانية مثل الغذاء والرعاية الطبية والدعم النفسي. ونحن بحاجة إلى مساحات آمنة للتعليم والتنمية الشخصية، لتوفير ملجأ ومساعدة الشباب على الاستعداد لمستقبل أفضل.

نحن بحاجة إلى الاعتقاد بأن هناك أملاً، ولكن الآن أصبح الأمر أكثر صعوبة. فى غزة، لا نشعر بأن أحداً يهتم بنا. يشعر الشباب بأن العالم الخارجى قد تخلى عنهم، فالصراع مستمر ولم يعد الناس مصدومين مما يحدث لنا. نحن فقط ننتظر من يخبرنا أن الحرب قد انتهت.

مقال بدون اسم فى صحيفة الجارديان البريطانية كتبته سيدة عمرها ٢٤ سنة عاشت فى غزة طوال حياتها، وعملت مع منظمة Plan International كسفيرة للشباب. وتكتب دون ذكر اسمها لحماية نفسها.

اغتيالات القادة لن تنهى المقاومة .. بل تخلق جيلا أكثر تشددا يتعلم من التجارب

أوهام تعظيم الاستخبارات الإسرائيلية

رغم اغتيال رمز الحزب وقائده السياسى والدينى « السيد»مع معظم قيادات الجيلين الأول والثاني.. إلا أن ذلك لا يعنى القضاء على ميليشياته وقدراته العسكرية..

عملية اغتيال القادة التى تنفذها إسرائيل بتعاون استخباراتى دولى وحققت إنجازات كبيرة فيها لن تنهى المقاومة.. فهى لم تصل حتى الآن إلى القادة الميدانيين ولا عناصر الجهاز الأمنى للحزب الذين يستخدمون أسلوب المقاومة فى غزة فى التواصل، ونالوا تدريبات جيدة فى إيران وتشبعوا ايديولوجيا فى معسكرات الحرس الثوري، ويجيدون الحديث بالفارسية.

هؤلاء القادة من العناصر الشابة ويمثلون تيار الصقور المتشدد الذى وجه انتقادات كثيرة لقيادة الحزب السياسية والإدارية فى الأيام التى شهدت اغتيال القيادات بسبب الخطوط الحمر التى تضعها لحجم الرد ونوعية الصواريخ المستخدمة.

لا يعنى اغتيال قادة وحدات الصواريخ والمسيرات والاستخبارات.. بالإضافة إلى أعلى السلم السياسى ممثلا فى السيد.. أن الحزب قد انهار. على العكس ستكون إسرائيل أمام جيل غير معلوم لا تدركه شبكات التجسس الممتدة ولا المخابرات الدولية المنتشرة فى بيروت وفى الضاحية الجنوبية خصوصا.

جيل القادة والمؤسسين كان مخترقا منذ تدخله فى الحرب الأهلية السورية.. ومن خلال أجهزة الإتصال التى يستخدمونها، وحتى شبكة التليفونات الأرضية التى تسلم فريق التحقيق الدولى فى مقتل رفيق الحريرى رئيس الوزراء الأسبق الداتا الخاصة بها.. وقد وقعت فى يد الاستخبارات الإسرائيلية والدولية، ولا شك أنها تضم خطوط قيادات الحزب التى كشفت عن منازلهم ومقراتهم.

الأكثر أن مقر قيادة الحزب الذى جرى نسفه بـ٨٠ قنبلة فراغية مخترقة للتحصينات، كان معلوماً لإسرائيل.. واستغرق رصده وفق المعلومات التى بثها الإعلام الإسرائيلى وقتا طويلا.. وكان من السهل اغتيال السيد فيه. تحركاته معروفة من خلال الحراس الذين يظهرون وراءه خلال خطبه. من السذاجة ظهورهم بوجوه مكشوفة جعلت التعرف عليهم سهلا فى الضاحية ومعرفة تحركاتهم التى لابد أنها ترافق تحركات السيد.

ومنذ يوم الأربعاء قبل الماضي، قبل مغادرة نتنياهو إلى نيويورك.. توصلوا إلى وجوده بالتحديد داخل المقر المحصن تحت إحدى البنايات التى تم تدميرها.. لكنهم كانوا يريدون صيدا أثمن، اغتيالاً جماعيا لكل القادة الذين وصلت معلومة بأنهم سيجتمعون بالسيد.. وبالتالى أبلغ نتنياهو فى نيويورك بأن اللحظة مهيأة لتنفيذ الهجوم، فأعطى الأمر.. وتحقق الاصطياد الجماعى الذى شمل أيضا «زينب» ابنة السيد التى كانت حاضرة.

نعم الضربة موجعة لكنها ليست قاصمة.. ولا تعنى طى صفحة الحزب.

التهلهل الأمنى الذى يؤدى إلى اغتيال فيادات الصف الأول.. لا ينطبق على القادة الميدانيين ولا على مواقع الصواريخ التى يتضح أن إسرائيل لم تتوصل إليها.. يترجم ذلك أنها بدأت تدميراً جماعيا للبيوت والقصور اعتقاداً بأنها تضم مخازن الأسلحة.

أرسل الحزب صاروخا تجاوز مداه ١٥٠ كم ووصل شرق القدس.. وهذه المسافة تعنى أن القادة الميدانيين بدأوا يتحللون من الخطوط الحمر التى وضعتها القيادة التى تم إبادتها.. وهو ما حذرت واشنطن تل أبيب منه. إذ إن غياب القيادات الكبرى قد يحول ترسانة الصواريخ الضخمة التى تتجاوز ٢٠٠ ألف صاروخ إلى جماعات قتالية عديدة تتصرف بقرارات مستقلة على طريقة أمراء الحرب فى الصومال إبان حربها الأهلية، وعلى طريقة الجماعات الافغانية أيضا، وهذه لم تستطع الولايات المتحدة مواجهتها وانسحبت أمامها.

سياسة الاغتيالات ستجعل المنطقة على حافة الهاوية ولن تنجح أى جهود دبلوماسية فى وقفها.

تقول CNN إن إسرائيل تخاطر بتحويل أسبوعين من الضربات الوحشية إلى خسارة أخرى طويلة المدى لهيبتها.

تتابع: أمام نتنياهو خيار حاسم يتعين عليه أن يتخذه. فهل ينقذ الأسبوعان الماضيان سمعته المحلية فيما يتعلق بالأمن ويتركانه فى وضع أفضل لمواجهة القضايا المرفوعة ضده؟ أم أنه يرى مرة أخرى أن الحرب المستمرة دون توجيه استراتيجى واضح هى أفضل وسيلة للمضى قدمًا؟.. فى نهاية المطاف، يجب أن ينتصر مجال الرؤية الأوسع. يحتاج الوضع إلى تسوية سياسية ووقف لإطلاق النار الآن، بغض النظر عما يعنيه ذلك بالنسبة لمصير النخبة السياسية الحالية فى إسرائيل.

أوقع اغتيال (السيد) الرئيس جو بايدن فى مأزق: بينما لم يذرف أحد فى البيت الأبيض أى دموع عليه، فإن الضربة التى أطاحت به أدت إلى تفاقم المخاوف من تصاعد الصراع وتوسعه.

جنون العظمة الذى يجتاح نتنياهو ونخبته حاليا سيجره إلى صراع مع عناصر لا يعلم عنها شيئًا، ولا تحيط أجهزته التجسسية ومراكز التنصت والمسيرات باتصالاتها وقراراتها.. ولو قرر الدخول البرى فهو يجهل حجم المقاومة على الأرض التى ستقابله.

يثير قلق واشنطن المعلومات التى وصلتها بأن قيادات الظل فى المقاومة رفضت اقتراحا من طهران بارسال مستشارين لإعادة هيكلة القيادة الجديدة.. كأنها ستتخلى عن خطوط طهران الحمر بعد تخليها عنهم.

تقول شبكة CNN: السؤال الأكبر والقلق بالنسبة لإدارة بايدن هو ما هى التداعيات التى ستترتب على وفاة السيد فى الأيام والأسابيع المقبلة فى المنطقة.

لذلك قال بايدن اليوم "لقد حان الوقت لوقف النار فى ظل المخاوف من التصعيد".

ستدرك إسرائيل أنها كانت تواجه دولة ممثلة فى "الحزب" ذات قيادات معروفة يمكن التحاور معها، وأن (السيد)كان بمثابة رئيس جمهورية يمكن أن يجلس على طاولة مفاوضات.. الآن بات عليها أن تقاتل كائنات مجهولة وصواريخ فشلت فى شل قدراتها أو تعطيلها.

لا يهم من السيد الجديد.. الأهم من هؤلاء الذين يقودون الميدان.. قد تغتال إسرائيل أى سيد جديد.. لكن كيف ستصل إلى القوة الحقيقية التى يمكن معادلتها بسنوار غزة؟!

×××

يجرى الآن تعظيم إعلامى للاستخبارات الإسرائيلية فى اعقاب اغتيال معظم قيادات الحزب، ويهدف ذلك لإعادة هيبة فقدتها فى ٧ أكتوبر وفشلها فى الوصول إلى الرهائن فى غزة رغم أنها تسيطر عليها وتستخدم إمكانيات السى آى ايه والمخابرات البريطانية.

الاغتيالات التى تمت للقيادات والوصول إلى مقراتهم بدقة تمثل حالة خلل أمنى كارثية سواء للجهاز الأمنى للحزب ولاستخبارات الحرس الثورى الإيرانى أيضا المخترق فى قلب طهران والتى أغتيل إسماعيل هنية بين ظهرانيها وفى أحد مقراتها السرية.

هذا الضعف لا يعنى قوة الاستخبارات الإسرائيلية وتفوقها مع الاعتراف بتفوقها السيبرانى والتقنى والتكنولوجى وفى مجال الدرونز المعلوماتية.

لكنها تجد دعماً كبيرا من الاستخبارات الأمريكية والبريطانية بما تملكه من تكنولوجيا متقدمة وأقمار صناعية تجسسية تغطى فضاء الشرق الأوسط وتتنصت على شبكات الاتصالات.. إضافة إلى استخبارات بعض الدول العربية التى تتعاون معها أمنيا ومعلوماتيا.

لكن ما أوقع زعيم الحزب ومعظم قادته هم العملاء على الأرض. بيروت بيئة خصبة للجواسيس كقبرص واليونان. ليس أسهل هناك من تجنيد الجواسيس فى البيئة الحاضنة للقيادات المستهدفة مثل الضاحية فى ظل غباء أمنى واضح.

نتذكر عندما أجبرت مقاتلات إسرائيلية طائرة مدنية عراقية على الهبوط فى مطار بن جوريون عام ١٩٧٣ بهدف اعتقال الدكتور جورج حبش الذى كانت لدى الموساد معلومات مؤكدة أن حبش بين ركابها.. ثم سمح لها بالإقلاع عندما تبين خطأ تلك المعلومات.

الأمر لم يكن كذلك. كانت المعلومات دقيقة جداً وكان المفترض أن يكون حبش مسافراً على متنها.. لكن أمراً شخصيا جعله يؤجل سفره فى اللحظة الأخيرة.

وهنا كان السؤال: من هو العميل فى بيروت الذى أخبر الموساد حيث يوجد مكتب ياسر عرفات قبل إخراجه منها. لم يكن يعلم بسفر جورج حبش إلا هو طبعا وأبو عمار.

وظهرت المفاجأة أن العميل هى مديرة مكتب عرفات فى بيروت.

حتى بعد انتقال منظمة التحرير الفلسطينية إلى تونس كان العامل البشرى ممثلا فى الجواسيس وسيلة الموساد لرصد المنظمة وقياداتها ومباحثاتها.

كان العميل مفاجأة.. إنه عدنان ياسين نائب السفير الفلسطينى فى تونس حتى عام ١٩٩٣.

كان ياسين مكلفا بأهم الواجبات التى تجعل أبا عمار وأبا إياد وأبا جهاد فى قبضة الموساد. كان ياسين مسؤولا عن ترتيب سفر وتنقلات المسؤولين الفلسطينيين من والى تونس وتأثيث مكاتبهم ومنازلهم.

لم يكتشفه أحد إلا الاستخبارات الفرنسية بطريق الصدفة عندما ألتقطت بواسطة أقمارها الصناعية ذبذبات أجهزة التنصت فى السيارة المرسيدس التى كانت تنقل القادة الفلسطينيين وأبلغت السلطات التونسية وقتها..

كانت ابنته عايدة تعيش مع زوجها فى قطاع غزة.

نجح السنوار خلال وجوده فى سجون الاحتلال فى دراسة تلك الخطط وتجنيد الجواسيس التى يعتمد عليها الموساد وجهاز أمان.. وتوصل إلى نقاط ضعفها وهى كثيرة. وعندما آل إليه الأمر فى غزة وضع هدفه الأول كشف العملاء وقتلهم وهذا ما حدث.. ثم اعتمد على الاتصال الشفهى مبعداً أى تقنيات حديثة. الرسائل مع السنوار ورودوه عليها تستغرق من أربعة أيام إلى أسبوع كأنه يعيش فى عصر الحمام الزاجل. أساليب قديمة جعلت الاستخبارات الإسرائيل بكل الدعم الذى تلقاه من المخابرات الأمريكية والبريطانية والأقمار الصناعية عاجزة عن حل لغز مكان اخفاء الرهائن أو الوصول إلى السنوار.

العكس تماما بالنسبة للحزب وحليفه إيران. زعيمه لم يكن يستخدم إطلاقا الهواتف المحمولة أو الاتصال الأرضى أو يشاهد التليفزيون.. لكنه أهمل العنصر البشري. لم يستفد من تجارب سابقة لمنظمة التحرير الفلسطينية أو حتى أسامة بن لادن الذى كان تتبع أحد الأشخاص الذين يتولون خدمته وسيلة الوصول إلى مكان اختبائه.

حراس السيد الراحل معروفون فى الضاحية وتتبعهم أو اختراقهم سهل.. بل قد يكون أحدهم هو العميل نفسه. جميع القادة الذين تم اغتيالهم شاركوا فى الحرب بين النظام السورى والمعارضة وكانوا يستخدمون الهواتف المحمولة فى إتصالاتهم.. ومن ثم نجحت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية والدولية فى التعرف عليهم ورصد مقراتهم ومنازلهم وحتى شققهم داخل أبراج بيروت.

إضافة إلى ذلك فقد حصلت تلك الاستخبارات على المعلومات التى قدمت لفريق التحقيق الدولى فى اغتيال رفيق الحريرى وتتضمن منظومة الإتصالات والتحويلات البنكية والبنك الخاص بالحزب.

نأتى إلى نقطة أخيرة.. هل استخبارات الحزب على درجة من الضعف أنها لم تعرف مصير السيد بعد الغارة العنيفة إلا بعد يوم كامل رغم أن إسرائيل دمرت منافذ دخول وخروج المبانى الأربعة أو الستة والشارع الذى بينهم والذى كان تحته المقر السرى المحصن للقيادة المركزية؟..

ليس دقيقاً.. الحزب عرف مقتله بعد دقائق وأبلغ بها بعض الصحفيين الذين يثق فيهم.. بغرض منعهم الوقت اللازم ليكتبوا عن الرجل ويجمعوا المعلومات الخاصة بسيرته، لكنهم طلبوا منهم عدم الإعلان عم ذلك إلا بعد بيان الحزب.

عُثر على جثة السيد دون أى جروح.. فقد مات من أثر التفريغ التى أحدثته القنابل المفرغة بعد اختراقها الحصون حيث تسحب الأوكسجين تماما من المكان المستهدف.

لقد مات مختنقاً.

بقلم: فراج إسماعيل
مدير تحرير قناة العربية سابقا